

بشرط أن يعطي خبزاً يرضيه ، وحضر سذقر المشطوب ، وحلف واشترط أن يرضى وحضر أيبك الأפטس رحمه الله واشترط رضاه ، وحضر حسام الدين بشارة ، وحلف وكان مقدما على هؤلاء ولم يحضر أحد من الأمراء المصريين ، ولم يتعرض لهم بل حلف هؤلاء للتقرير ، ونسخة اليمين المحلوف بها مضمونها : إني من وقتي هذا صفت نيتي ، وأخلصت طويتي ، للملك الناصر مدة حياته ، وإني لأزال باذلاً جهدي في الذب عن دولته بنفسي ومالي ، وسيفي ورجالي ، ممتثلاً أمره واقفاً عند مرضاه ، ثم من بعده لولده الأفضل علي ووريثه ، وواله إنني في طاعته وأذب عن دولته وبلاده بنفسي ومالي وسيفي ورجالي ، وأمتثل أمره ونهيه وباطني وظاهري في ذلك سواء ، والله على ما أقول وكيل .

ذكر وفاته رحمه الله وقدر روحه

ولما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر ، وفي الثانية عشرة من مرضه اشتد مرضه وضعفت قوته ، ووقع في أوائل الأمر في أول الليل ، وحال بيننا وبينه النساء واستحضرت أنا والقاضي الأفضل في تلك الليلة وابن الزكي ، ولم يكن عادته الحضور في ذلك الوقت ، وحضر بيننا الملك الأفضل ، وأمر أن نبيت عنده ، فلم ير القاضي الأفضل ذلك رأياً فإن الناس كانوا في كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة فخاف أن لا ننزل فيقع الصوت في البلد وربما نهب الناس بعضهم بعضاً ، فرأى المصلحة في نزولنا واستحضر الشيخ أبي جعفر أمام الكلاسة ، وهو رجل صالح ليبيت بالقلعة ، حتى إذا احتضر رحمه الله بالليل حضر عنده وحال بينه وبين النساء ، وذكره الشهادة ، وذكره الله تعالى ، ففعل ذلك ، ونزلنا وكل منا يود فداءه بنفسه وبات في تلك الليلة على حال المنتقلين إلى الله تعالى ، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ، ويذكره الله تعالى ، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع لا يكاد يفوق إلا في أحيان ، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى (هو

صاحب جزيرة ابن عمر ، فساروا ، فلما وصلوا الى ماربين نزلوا اسفل جبلها ، وشرع نور الدين بجمع الرجالة ليزحف الى ربض ماربين ويقاتل العسكر العادلي من تحت ويقاتلهم أهل ماربين من فوق ، لعلهم يظفرون بهم ويزيلونهم قهرا ومكابرة ، مع تعذر الصعود في الجبل الى الربض ، إنما همته كانت عظيمة لا يعتقد انه يعجزه شيء . فاتفق ان العسكر العادلي نزل عن الربض الى قتال العسكر النوري ، ونزل الرجالة في الربض ليمنعوا القلعة من النزول ، فجاء امر لم يكن في الحساب ، فالتقوا واقتتلوا .

وكان قطب الدين صاحب سنجار قد واطأ العسكر العادلي على أن ينهزم بين أيديهم ولم يعلم بذلك احدا ، فقدر الله تعالى ، أنه لما نزل العسكر العادلي واصطفت العساكر ، ألجأت قطب الدين الضرورة والزحمة الى ان وقف في شعب بجبل ماربين ، ليس اليه طريق للعسكر العادلي ، ولا يرى الحرب بينهم وبين العسكر النوري لينهزم ، وإذا أراد الله أمرا فلا مرد له ، والتقى العسكران واقتتلوا واشتد القتال ، وكان السعيد نور الدين في القلب وإلى جانبه أخي مجد الدين على بغلة ، فقال له : في مثل هذا اليوم تركب بغلة ؟ فقال: الساعة نأخذهم برقابهم إن شاء الله تعالى ، فحمل العسكر العادلي على القلب النوري فزحزحوا عن موقفهم قليلا ، فقال أخي للسعيد نور الدين : تقدم قليلا ليراك الناس فيتقدموا وتشتد انفسهم ، فأخذ الرمح وحمل إلى المعركة ولم يشعر أخي به الا وقد حمل ، قال أخي : ولقد ندمت حيث قلت له ليتقدم حيث لم يذفعني الندم ، فحين رآه الناس قد حمل القوا ذفوسهم على العادلية فأخذوهم باليد ، وانهزم الباقون مصعبين في الجبل الى الربض ، وحمل الاسرى الى بين يدي نور الدين ، فرأى فيهم أميرا من اعيان العسكر وهو مكشوف الرأس ، فقام اليه واعتقه ، وأخذ شيئا كان على رأسه فألبسه إياه بيده وأقعده إلى جانبه ، وأحسن الى المأسورين جميعهم ووعدهم الاطلاق إذا فرغوا من أمر ماربين .

وأما الملك الكامل والعسكر الذين معه ، فإنهم لما جنهم الليل

رحلوا عن ماربين ، فتقطعوا في ذلك الجبل وساروا نحو
ميا فارقين ، وأصبحت الأرض منهم بلقعا لا أنيس بها ، وأتى
الخبر الى السعيد نور الدين رضي الله عنه ، فقام له بعض
أصحابه ، اصعد الى الرض فليس دون ملك القلعة مانع لضعف من
بها فتملكها صفوا عفوا ، ويكون هذا الموضع المثل : رب ساع لقاعد
فقال : حاشا لله ان يتحدث الناس عني ان ناسا اعتضدوا بي
واستنصروني فأغدر بهم ، ثم قال لأخي مجد الدين وهو عنده :
ما تقول؟ فقال : الغادرون كثير ، وقد أودعت الكتب غدراتهم فهي
باقية الى يوم القيامة ، وإنما لم يؤرخ عن أحد من الناس انه قدر
على مثل ماربين وتركها وفاء وانعاما واحسانا . قال فقال لي :
أرسل إلى صاحب ماربين ليرسل نوابه الى ولايته وقراباه - وكان
قد اقطعها للعساكر التي معه ، وأمر بكف أيديهم عنها وتسليمها
إلى صاحبها - قال : فقلت له : إن اصحابنا لم يأخذوا درهمها
واحدا لتأخر ادراك الغلات ، فلو بقي الاقطاع بأيديهم إلى أن
يأخذوا منها ما يذفقون منه على بيكارهم لكان مصلحة . فقال : لا
نكدر انعامنا واحساننا اليهم ، ونحن نكفي اصحابنا . قال :
فأرسلت الى صاحب ماربين ليتسلم بلاده فتسلمها وأرسل اليها
النواب ، وهذه سيرة لم يؤرخ عن أحد من الناس مثلها .

وكان في عزمه المسير إلى حران وما والاها من البلاد الجزرية
للاستيلاء عليها ، فمرض وعاد إلى الموصل ، ولو سار اليها
ملكها ، لأن الملك الكامل وعسكره لما فارقوا ماربين قصودوا
ميا فارقين لعلمهم ان السعيد نور الدين يقصد البلاد
الجزرية ، فأبعدوا عنها خوفا منه .

ذكر عوده رضي الله عنه الى بلاد العادل والصلح بينهما

قد ذكرنا فيما تقدم عود المولى السعيد نور الدين رضي الله عنه عن مارين مريضا فلما وصل إلى الموصل بقي أياما ثم عوفي فلما قوي ، عاد وجمع عسكره وسار إلى البلاد الجزرية التي بيد العادل في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وعزم على حصرها ، وكان بها حينئذ الملك الفائز ولد الملك العادل ومعه عسكر كثير قد سيرهم والده إليه لحفظ البلاد من نور الدين ، فلما وصل إلى رأس عين ، جاءته رسل الفائز ورسول من معه من أكابر الأمراء يرغبون في الصلح ويشيرون به ، فاقترضت المصلحة إجابتهم إلى ما طلبوا فصالحهم على ما بأيديهم ، وضمنوا أن يحلفوا له الملك العادل ، وحلفوا له على ذلك ، فأرسل إلى العادل بالذي تقرر ، وسار مع رسوله أمير كبير من عند ولده فحلف له واتفقا واستقرت القواعد وأمنت البلاد ، وعاد السعيد نور الدين إلى الموصل

في ذكر حصر العادل مدينة سنجان وما فعله المولى نور الدين في حفظها وضبطها

في سنة ست وستمائة ، سار الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام إلى سنجان في عساكر الشام ومصر والجزيرة وبيار بكر فحصرها ، وبها صاحبها قطب الدين بن عماد الدين - وهو ابن عم المرحوم نور الدين قدس الله روحه فأرسل قطب الدين ولده إلى الخدمة النورية مستجيبرا ومستنصرا ، ثم سار إلى إربل ، إلى الملك المعظم مظفر الدين (كوكبري) (١٤٣) في المعنى ، فأرسل إلى العادل يشفعان في أمر سنجان ويطلبان إبقاءها على صاحبها وترك التعرض إليها ، فاعتذر عن الإجابة ، وذكر لصاحبها نذوبا

تقتضي قصده وحصره ، فجمع السعيد نور الدين عساكره ، ووصل إليه الملك المعظم مظفر الدين في عساكر إربل وشهر زور وأعمالها ، واجتمعوا بالموصل بعد طول افتراق ، واتفقا بعد اختلاف ، ووثق كل واحد منهما بصاحبه ووثقا لامزيد عليه ، إلى حد أن مظفر الدين كان يبني في قلعة الموصل ونور الدين بظاهرها في المعسكر ، وهذا غاية الائتلاف والاتفاق ، وعزما على المسير إلى سنجار ولقاء العادل ومحاربتة ، وانما منعهما عن ذلك ، أن أمير المؤمنين الناصر لدين الله اعز الله سلطانه ، أرسل رسولا ، وهو بهاء الدين بن الضحاك استاذ الدار العزيزة في اصلاح الحال ، وناهيك بهذا شرفا وجلالة وقدرا لنور الدين عند أمير المؤمنين اذ ينفذ مثل استاذ داره العزيزة ليسعى في اغراضه ، فأشار بهاء الدين بترك الحرب ، وقال : اي الطائفتين انهزمت ، كان وهنا عظيما في الاسلام لا يجبر وخرقا لا يرقع ، فسمعا واطاعا ، وسار إلى سنجار واجتمع بالعادل ، وجرت أمور ، وترددت الرسل ، واستقرت القاعدة على الصلح وابقاء سنجار على قطب الدين فرحل العادل عنها .

ذكر وفاة المولى السعيد نور الدين

قدس الله روحه

توفي المولى السعيد نور الدين - قدس الله روحه ونور ضريحه - في رجب من سنة سبع وستمئة ، وكان كثير الأمراض منحرف المزاج ، واختلف الأطباء في مرضه الذي توفي به . فقيل لوث مزاج ، وقيل قرحة وقيل غير ذلك . تدوعت الأسباب والداء واحد . وكان رضي الله عنه قوي النفس في مرضه ، لم يغفل عن تدبير الملك وسياسته الى ان فارق الدنيا ، ولما اشتد مرضه انحدر في شبابة الى الحامة المعروفة بعين القيارة (١٤٤) فلم يجد بها راحة ، فأصعد الى الموصل فأدركه أجله ليلا قبل الوصول إليها ، وكان معه المولى بدر الدين فتاه ، فكتّم موته من طبيب وملاح وخادم

الى ان وصل الى البلد فأدخله الدار ميتا وتركه بالمكان الذي كان فيه مريضا ، ووكل ببابه من يمنع من الدخول إليه ، وأمضى في نهاره ذلك ماكان وصاه به في طريقه الى أن توفي فلما فرغ من جمعيه ، أظهر موته آخر النهار ودفن أول الليل بالمدرسة التي أنشأها بباطن الموصل ، وقام في حفظ البلد المقام المرضي ، بحيث أن أهل البلد الرجال والنساء باتوا يترددون عامة الليل الى الدار السلطانية ، فلم يفقد من أحد منهم الحبة الفرد . واشتد الحزن عليه ، ولم يذفعهم اشتراكهم في المصيبة به ، لأنه كان رفيقا بهم ، مشفقا عليهم ، ناظرا في مصالحهم . وأكثر الشعراء مراثيه وتأبينه .

وكذاك العدو لم يعد ان
قال جميلا كما يقول الصديق

ذکر شیء من سیرتہ

- 357 -

وكان رضي الله عنه يحلم عن نوابه ويتغافل عنهم مع علمه بحركاتهم وسكناتهم ، ولقد قال يوما لمن يثق اليه : ما أجهل هؤلاء نوابي ، يخدموني أحدهم وليس له شيء وعليه بين ، فما يذقني عليه سنة حتى يوفي في بينه ويعمر الدور والاملاك ويرسل إلي يطلب أن يشتري مني قرايا ، ولو أن لهم عقلا اخروا الاموال واشتروا بها أملاكا من غيري ، فإنهم يعلمون أنني أعرف أحوالهم قديما وحديثا ، ومع هذه المعرفة فكان يغضي عنهم كأنه لا يعلم بشيء من أمرهم .

وكان - قدس الله روحه - كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم والقرب منهم ، سريع الانفعال للخير

حكى لي أخي مجد الدين رحمه الله تعالى - وكان غاية الخبر به - قال : ما قلت له في شيء قط من عدل وبذل مال أو غير ذلك من الصلاح ، فقال لا ، وحكى لي أيضا عنه قال : كنت معه في بعض أسفاره ، وكان له سردار بالموصل يكون معه مفاتيح داره ، فبلغه ان ولد السرداد قد سرق من داره شيئا ، فأرسل الي ليلا يأمرني أن اكتب كتابا الى الموصل بقطع يده ، فأعدت الجواب : إنني ما أكتب هذا الكتاب الليلة ، وإذا اجتمعت به غدا أعرفه ما عندي في هذا فأعاد ، مرة ثانية وثالثة وأنا امتنع - - - - - ذلك ، فاستدعاني ، فحضرت عنده فقال لي : لم لا تكتب كتابا ؟ فقلت له : عادتني معكم انني لا اكتب الا ما تجيزه الشريعة ، فقال لي : هذا سارق توجب الشريعة المطهرة قطع يده ، فقلت له : لا قطع عليه ، لأنه من غير حرز لأن المفاتيح بيده ، فعفا عنه .

ومن رفاقه برعيته وتعطفه عليهم ، أنه كان له غلام قد خدمه قديما في صباه ووجب عليه حقا ، وكان يؤثر ان يقدمه ويفوض إليه أمرا ، فولاه ولاية الموصل ، فسلك مع اهلها سيرة فيها بعض الخشونة ، فكتب إليه بعض اهلها يذكر له شيئا مما يفعله هذا النائب فعزله ، وبقي مدة معزولا ثم حملة طول خدمته له على ان

فليس بشيء ، وسار ولم يقم فكان كما قال ، ليس فيهم من يحرك (ساكنا) ومن ذلك أن العادل كان له ديار مصر ، والشام ، وديار الجزيرة وبلاد ارمينية ، وبعض ديار بكر وباقيها في طاعته ، ومعه ايضا صاحب سنجار ، والملك المعظم صاحب إربل ، ومعرز الدين صاحب جزيرة ابن عمر ، وكان المرحوم نور الدين رضي الله عنه كل قليل قد انشعب الحرب معهم ويقصد بلادهم ، فكان العادل بسببه لا يزال يستميل أصحاب الأطراف المجاورين لبلاده والأمراء الذين في عسكره بمصر والشام ، ليستعين بهم عليه ، وخوفا أن يميلوا إليه ، وبلغني ان العادل قال - وقد بلغه خبر حركته - : أي رجل هو نور الدين ، أنا خصمه بهذه البلاد جميعها وهذه العساكر الكثيرة ، وكل من يجاوره معي عليه وقد احدثنا به من جميع جهاته ، ومع هذا فلا يقنع منابا لسلامة ، بل يريد أن يملك بلادنا ، ولولا أن الله تعالى أعاننا بكثرة أمراضه لعجزنا عنه ، وبلغني أيضا أنه قال لما توفي السعيد نور الدين - قدس الله روحه - : ذهب من كان يخاف ، ومن ذلك أنه ذكر عنده يوما ملك والده السعيد قلعة حلب ، وأنه سلمها إلى أخيه عماد الدين ، فقال : والله ما أذكر هذه الحال إلا أعجب منها ، والله لو ملكتها لجالت صلاح الدين بالسيف بباب مصر .

وأما علو همته

فمن ذلك ما فعله بماربين من انقاذها من العسكر العادلي وإبقائها على صاحبها ، ولو أن ذا القرنين فعل ذلك لكان عظيما ، وما ذكرناه من طلب ملك البلاد فمن علو الهمة وكبر النفس .

وأما عقله وحسن آرائه

فإليه النهاية : سمعت أخى مجد الدين رحمه الله غير مرة ، يقول : ليس عند هذا المولى نور الدين مثله ، والله إنه أعلم بالمصلحة من كل ما رأيناه ، ولقد رأيت كثيرا من الملوك من أهله وغيرهم ما رأيت فيهم اسرع إدراكا ولا أهدى إلى الصواب منه في سرعة خاطر . ولو رمت ذكر جياذ آرائه لاحتجت الى كثير من الأوراق ، لكن المقصود التنبيه من كل خلق على بعضه .

وأما حسن عهده ومراعاته لحقوق خدمه ومماليكه في حياته

فأنا أذكر ما رأيته منه . فمن ذلك أن أخى مجد الدين - رحمة الله عليه - توفي سلخ ذي الحجة من سنة ست وستمئة ، فأرسل المولى المرحوم نور الدين - رضي الله عنه - إلي ذلك اليوم عدة مرار يقول : لا تخرجه إلى الجامع للصلاة عليه حتي اقول لك ، فإنني أريد أصلي عليه - وكان الزمان صيفا ، وكان رضي الله عنه ذلك اليوم غير طيب الذفس وهو مدعوك البدن - فلما كان العصر وفتر الحر ، أرسل إلي يأمرني بحمله الى الجامع ، وانحدر هو فسبقنا ، فلما رأى الجنازة ، بلغني عنه انه بكى كثيرا وأظهر التأسف ، ولما قصدنا خدمته بعد ذلك اظهر لنا من الهم بسببه شيئا كثيرا ، وحملنا له ما جرت العادة وفيه سجادة للصلاة ، فرده وسألني عن شيء كان بلائه بنفسه ، فأومأت إلى السجادة ، فمديده واخذها ، (حدث) هذا جميعه وهو شديد الوعك . ولم يزل بعد ذلك يزداد مرضا إلى أن توفي بعده بسبعة أشهر ، رضي الله عنه .

ومن محاسن أعماله المدرسة التي أنشأها بباطن الموصل مقابل

دار المملكة ، وهي أحسن المدارس ، ووقف عليها الوقوف
الكثيرة ، وجعلها وقفا على ستين فقيها من الشافعية ، سوى ما
فيها من الصدقات الدارة والتعهدات للصوفية والفقراء .

ذكر ملك ولده المولى الملك القاهر أعز الله أنصاره

كان المولى السعيد نور الدين - قدس الله روحه كما نور
ضريحه - قد عهد الى ولده المولى الملك القاهر العالم العادل المؤيد
المنصور المظفر المجاهد المرابط عز الدنيا والدين ، سلطان الاسلام
والمسلمين ، ناصر أمير المؤمنين ، ابي المظفر مسعود أعز الله
سلطانه ، وأعلى شأنه ، ونصر جنده وأعوانه ، وخذل عدو دولته
وأهانه .

وهذا دعاء لو سكت كفيته
لأنني سألت الله فيك وقد فعل

قبل وفاته بعدة سنين ، لأنه كان يرى الدنيا بعينه ، ويسمع منها
بأنه ، ويستهل صعاب الأمور منه ، ويستحلي بقربه ، ويستلذ
نسم الهواء به ولم يزل في حجره ، وبين سحره ونحره ، فلما اشتد
بالمرحوم المرض ، ورأى أن جوهر حياته قد استحال إلى العرض ،
جدد العهود له ، وأمر بأخذ الميثاق على كافة الأولياء من الأجناد
والأمراء والأعيان والأمثال والعلماء والأفاضل .

ساد الملوك لسبع عشرة حجة
ولداته إذ ذاك في اشغال

قعدت بهم هماتهم وسمت به
همم الملوك وسورة الأبطال

اقصر كل الخلق عن شأوه
حسرى وطال الكل إذ طالوه

ولما فرغ من وظيفة العزاء ، بذل من الأموال والتشريفات ما لم يسبقه من مضى ولا يدرکه من هــــــــــــــأت ، عمــــــــــــت الأمير والمأمور ، وشملت الصغير والكبير ، وأظهر من الجود ما عير على حاتم وكعب ، وحير كل ذي عقل ولب ، وهذا موضع المثل : ليس السرف في الشرف ، وحين استقر في الدست ظهر عليه من علو الهمة الى معالي الأمور ، ومحبة العدل في سياسة الجمهور ، ومن الغرام بمكارم الأخلاق من الحلم والسخاء ، والعفو والاباء ، مالم يجارہ فيه احد الا وسبقه ثانيا من عنانه ، ولم يبارہ ملك الا وجاء سسکيتا (١٤٦) في ميدانه ، واشتهر عنه من العدل مالوا رأه كسرى لعاد خجلا يتعثر بأنياله ، ولا ستتر حياء من وراء حجاله .

مَنْ كَانَ ذَاكَ أَبَوْهُ كَانَ لِمَجْدِهِ
 أَنْ يَسْتَطِيلَ وَأَنْ يَشَادَ بِنَاؤُهُ
 مَنْ كَانَ مِنْ نَجْلِ الْبَدُورِ وَنَجْرُهَا
 لَمْ يَعْدهَا إِشْرَاقُهُ وَعِلَاقُهُ

- ٦٦٠٩ -

ملك إذا افتخرت بأبائه العلى
أولادها فخرت به أبائهم
من رام مشبهه سوى أسلافه
في المكرمات الغر خاب عناؤه
ملك الجلال فأشرق لآلؤه
وحبى الجميل فأعرق آلؤه

ولو رمنا شرح مفردات محاسن أفعاله وحكم أقواله لطال
الكتاب ، ولكننا نقتصر على حادثة واحدة يستدل بها على
نظائرها ، وهي ، أنه - خلد سلطانه - جلس في دار العدل
للانصاف ، والأخذ للضعفاء من الأقوياء والأشراف ، فحضرت
امرأة عمياء ادعت أن بعض الملوك من عمومتها ضربها ببندقية عند
الجلابين رماها ، كانت سبب عماها ، فأمر باحضاره الى الحاكم
وهو عنده ، فحضر وسأوى خصمه وقيل له الية أو
القصاص ، فقام فزعا قد أيس من الحياة ، وهو لا يصدق
بالنجاة ، فأرضى خصمه بمال بذله ، وعن القصاص
استنزله ، فعادت المرأة وذكرت انها قد رضيت وعفت عن
حقها ، وهذه حالة لم يسمع بمثلها ، ولم يدون في كتب التواريخ
عدلها .

يا ليت شعري من هذي مكارمه
ماذا ترى ببلوغ النجم ينتظر

أجرى الله على يده الشريفة كل صالحة ، ودفع عن حضرته
العلية كل فاحشة ، ووفقه للصواب في الأقوال والأفعال ، ولا زال
سلطانه قاهرا ، وفلك سعادته دائرا ، ولا برح جدد عدوه
عائرا ، وذكره خاملا دائرا .

لما فرغ المولى السعيد المرحوم نور الدين أسكنه الله

جنانه ، وأفاض عليه عفوه ورضوانه ، وملا ضريحه روحه وريحانه ، من تقرير قواعده ولله المولى الملك القاهر أعز الله أنصاره ، أراد أن يشد أزره بمن يجعله له وزيراً ، وعلى ما فوض إليه من أعباء المملكة ظهيراً ، ليكون مدبراً لدولته ، وناظراً في مهام مملكته ، ونائباً عنه في ولاية رعيته ، فاعتبر خـواصه وأولياءه ، ومماليكه وأصفياءه ، وكفاته وأمرأه ليختار منهم من يكون أهلاً لهذا الأمر الكبير ، وقيماً بهذا الشأن الخطير ، فلم ير فيهم أقوم سيرة ، ولا أخلص سريرة ، ولا أتم وفاء ، ولا أعلى همة وأكثر سخاء ، ولا أغزر حياء ومروءة ، ولا أغنى غناء ولا أعظم فتوة ولا أحسن اصطلاحاً ، ولا أكثر للحق اقتباعاً ، ولا أعدل منه احكاماً ، ولا أعلم بما يكسب الدولة انتظاماً ، من المولى الأمير اصفهسلار الكبير العادل الكامل الأسعد المقبل بدر الدين (لؤلؤ ١٤٧) عضد الاسلام وسيد الأمراء ، حسام أمير المؤمنين اسبغ الله ظله ، وأعلى محله ، وقهر عدوه وأذله .

أوحده الله فما مثله

لطالب ذاك ولا ناشد

ليس على الله بمستذكر

أن يجمع العالم في واحد

فحيث ، وجد ما كان يذنبه ، وبظفر بما كان يريده ويقصده ، تقدم إليه بخدمة ولده ، وحكمه في أمـواله ورجاله وبلده ، ورأى أنه قد أسند هذا المهم إلى الولي الوافي ، وفوض هذه الزعامة إلى المخلص الكافي ، وقد كان - رضي الله عنه - يتفرد في هذا الأمير ، إستحقاق التقدم والتدبير ، فلم يزل يدرجه بين الطافه وكرامته ، وولاياته واقطاعاته ، من رتبة إلى أخرى هي أعلى منها مكاناً ، وأرفع شأنًا ، إلى أن ولاه إمارة الجيوش والعساكر ، وسياسة القبائل والعشائر .

ولما استأثر الله تعالى بالمرحوم ، قام في خدمة المولى الملك القاهر

مقاما يحمد عليه الداني والقاصي ، والمطيع والعاصي ، والبادي والحاضر ، والمنجد والغائر ، ولقد جاء على حين فترة من الكرام ، وكثرة من اللثام ، فجدد من أعلام السيادة ما كان دارسا ، وأضحك من ثغور المروءة ما كان عابسا ، واختالت الدولة من حسن تدبيره اختيال العروس ، ورفلت من صائب آرائه في أحسن لبوس ، واقتخر به نهره على سائر الدهور .

إذا نحن اثينا عليك بصالح
فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحه
لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

هذه نبذة يسيرة من محاسنه تليق بهذا المختصر ، وقطره من بحر مكارمه تناسب هذا المختصر، ولو أوردتها مفصلة لخرجنا عما اعتمدناه ، وتركنا ما قصدناه ، ونحن إن شاء الله تعالى نأثي على كثير من ذلك في المستقصى في التاريخ ، والله الموفق للصواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار وسلم تسليما كثيرا .

حواشي ابن جبير

- ١ - كذا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين بن زنكي ، وصاحب سنجار أخوه بن زنكي الثاني . وتضبط معلومات ابن جبير على ما أورده ابن الأثير في الباهر وعاء جاء في المصادر الأخرى في موسوعتنا .
- ٢ - أي أصابه الهزال بسبب التبتل .
- ٣ - قطب الدين أيلغازي بن ألبى الارتقي ، تقدم ذكره في تاريخ أمدوميا فارقيين .
- ٤ - انظر المعجب لعبد الواحد المراكشي - ط . القاهرة ١٩١٤ ص ٤٠ حيث نسبته للحسن بن رشيق .
- ٥ - أي الخنازير لاسيما الاناث منها .
- ٦ - أي برزت .
- ٧ - الملاك هنا : الزواج
- ٨ - سورة ص - الآية : ٤٢
- ٩ - مسوفة إحدى قبائل المرابطين . انظر الحلل الدوشية ص ١٧ .
- ١٠ - المقصود هنا مقبرة باب الصغير .
- ١١ - سورة الاسراء - الآية : ٩٧
- ١٢ - كذا وهو وهم ، لأن سمساط مدينة على شاطئ الفرات . معجم البلدان والسميساطي هو أبو القاسم علي بن محمد ، وكان من أعيان دمشق .
- ١٣ - نسبة إلى الأخذف بن قيس التميمي الذي عاصر الامام علي وأوائل خلفاء بني أمية وشهر بالعلم .
- ١٤ - رشيد نسبة إلى الخليفة هرون الرشيد ، والجعفري نسبة إلى جعفر المتوكل .
- ١٥ - عمري : نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .
- ١٦ - كذا بالأصل .
- ١٧ - سورة الاعراف - الآية : ١٥٥ .
- ١٨ - سورة يوسف - الآية : ٩٠
- ١٩ - أي عمد تعريب كلمة Baptize
- ٢٠ - سورة طه - الآية : ١٢٧
- ٢١ - الرهو : السكون . القاموس

حواشي كتاب الباهر

- ١ - أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق .
- ٢ - الإشارة هنا إلى عز الدين مسعود صاحب الموصـل (٦٠٧ - ٦١٥ هـ) / (١٢١٠ - ١٢١٨ م) الذي حمل لقب القاهر .
- ٣ - صاحب الموصـل (٥٨٩ - ٦٠٧ هـ / ١١٩٣ - ١٢١٠ م)
- ٤ - سورة الحديد - الآية : ٢١
- ٥ - المخشـلب . قطع الزجاج المتكسر أو الخزف . القاموس
- ٦ - الأرض الجرز : التي لانبـات فيها فهي مجبـية . النهاية لابن الاثير .
- ٧ - لم يذكر اسمه ولعله صاحب ملك نامة
- ٨ - كذا وهو شاذ لأن المتداول : « جلال الدين » .
- ٩ - حصن كيفا ، وتمت معالجة هذه المسائل من قبل في الجزء الاول من كتاب المدخل .
- ١٠ - بلد قرب تكريت على فـم نهر الزاب الاسفل . معجم البلدان .
- ١١ - هذا لقب رتبة بيزنطية عسكرية وليس اسما لعلم من الاعلام .
- ١٢ - بين بغداد والانبار . معجم البلدان .
- ١٣ - كورة من نواحي نيسابور . معجم البلدان
- ١٤ - كذا بالاصل وهو وهم صوابه حذف . من أولاد « كسا تقدم معنا في الجزء الاول من المدخل .
- ١٥ - يرجع انه مات مسموما .
- ١٦ - طراز من بلاد ما وراء النهر ، وأيضا كاشغر ، وكذلك بلاساغون . معجم البلدان .
- ١٧ - أضيف ما بين الحاصرتين من الروستين لابي شامة .
- ١٨ - التراقي نوع من أنواع الدمامل تظهر بالحلـق .
- ١٩ - من غير المؤكد أنه خطب لتتش بالسلطنة في بغداد بل أنه رام ذلك وأخفق .
- ٢٠ - من أنواع القوارب النهرية .
- ٢١ - كان آنذاك علي بن طراد الزينبي ، وكان من أبرز شخصيات عصره .
- ٢٢ - المتاع الخاص من أقمشة وملابس .
- ٢٣ - السانية الناقة التي يستقى عليها .
- ٢٤ - الجنـدب : الجراد ، وصر : صوت وصاح شديدا . القاموس .
- ٢٥ - سورة الانفال - الآية : ٦٧ .
- ٢٦ - ديوان أبي تمام - ط . القاهرة ١٩٦٧ ج ١ ص ٢١
- ٢٧ - من أنواع المراكب النهرية .
- ٢٨ - هكذا سيذكره بعد أسطر .
- ٢٩ - سورة الانفال - الآية : ٣٢ .
- ٣٠ - أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق ومنه .
- ٣١ - سورة الاحزاب - الآية : ٢٥ .
- ٣٢ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ، قسم بلاد الشام ، ج ١ - ط دمشق ١٩٥٥ ص ٤٧٠ - ٤٧٣ مع فوارق
- ٣٣ - الميثرة : الثوب الذي تجلب به الثياب فيعلوها ، وهنة كهينة المرفقة تتخذ للسر . القاموس .

- ٣٤ - أي في بلد دمشق .
 ٣٥ - بعيرين الان (بارين) قرية تتبع ناحية عوج - منطقة مصياف ، محافظة حماه في سورية . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .
 ٣٦ - أي الرمح
 ٣٧ - من أيام معركة القادسية .
 ٣٨ - سورة الاحزاب - الآية : ٦٣ .
 ٣٩ - سورة ص - الآية : ٣ .
 ٤٠ - سورة النساء - الآية : ١٢٠
 ٤١ - وقعت العمانية في شمالي الموصل وهي من أعمالها . معجم البلدان
 ٤٢ - ماتزالان تحملان الاسم نفسه في عراق اليوم .
 ٤٣ - انظر ما تقدم حول هذا الامر نفسه لدى المصادر السريانية ولدى ابن الازرق الفارقي
 ٤٤ - أبو تمام الشاعر .
 ٤٥ - ديوان المتنبي - ط . بيروت ١٩٦٩ ص ٢٧٣ .
 ٤٦ - أي يبطن أمرا ويظهر سواه .
 ٤٧ - سورة الاعراف - الآية : ١٤٩ .
 ٤٨ - سورة هود - الآية : ١٠٢
 ٤٩ - الخامع : الضبع .
 ٥٠ - سورة الاسراء - الآية : ٨١ .
 ٥١ - سورة الذور - الآية : ٥٥ .
 ٥٢ - اضافة من السياق نفسه .
 ٥٣ - الزوزان كورة بين اخلاط وأذربيجان وبار بكر والموصل معجم البلدان
 ٥٤ - اضافة مما نقله صاحب الروضتين كما سيمر معنا .
 ٥٥ - فاط : مات . القاموس .
 ٥٦ - يوم الهبأة من أيام العرب قبل الاسلام بين عيس وذبيان . وكان البراض بن قيس مز
 فتاك العرب قبل الاسلام وهو الذي تسبب بحرب الفجار ، والحجاف هو ابن حكيم ، كان من فتاك
 العرب في الاسلام وهو الذي أوقع بتقلب يوم البشر ، والحجاف هو سيل حجف كل شيء بمكة سنة
 ثمانين للهجرة .
 ٥٧ - على مقربة من الرقة عند موقع أبي هريرة .
 ٥٨ - نوع من الفطير المصنوع من السكر والفسق والزبد .
 ٥٩ - زيادة اقتضاها السياق .
 ٦٠ - بلد قريب من الرحبة . معجم البلدان .
 ٦١ - أضيف ما بين الحاهرتين من الروضتين .
 ٦٢ - مدينة على بجلة فوق الموصل . معجم البلدان .
 ٦٣ - بقعاء الموصل . انظر مائة الموصل في معجم البلدان .
 ٦٤ - سورة التوبة - الآية : ١١١ .
 ٦٥ - على مقربة من خانق الربوة خارج دمشق .
 ٦٦ - سورة الصافات - الآية : ٤٤ .
 ٦٧ - بين نصيبين ومارتين . معجم البلدان
 ٦٨ - وقعت يغرى في منطقة العمق .
 ٦٩ - هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني ، من شعراء الخريبة - قسم بلا
 الشام - ح ١ ص ٩٦ - ١٦٠ .
 ٧٠ - هو سعد بن محمد بن صيفي التميمي (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) انظر ترجمته في بغية

- ٦٦٦ -

الطلب لابن العديم - ط . دمشق ١٩٨٨ ص ٤٢٦٢ - ٤٢٧١ . وقد طبع ديوانه في بغداد عام ١٩٧٤ .

٧١ - زيادة اقتضاها السياق ومنه اخذت .

٧٢ - لانتوافق هذه التفاصيل مع الخبر المتقدم .

٧٣ - هذه الابيات لابن منير الطرابلسي ، انظر ديوانه - ط . طرابلس ١٩٨٦ ص ٢٠٨ - ٢١٤ .

٧٤ - ديوانه ص ٢١٥ - ٢١٨ .

٧٥ - زيد ما بين الحاصرتين من الكامل لابن الاثير ح ٩ ص : ٢٩ .

٧٦ - سورة قاطر - الآية : ٤٣ .

٧٧ - انظر الخريدة - قسم بلاد الشام - ح ١ ص - ١٥٧ - ١٥٩ ، هذا وجميع المواقع المذكورة في نواحي حلب .

٧٨ - السحل الثوب الذي لا يبرم غزله أو الحبل ، والامرار القوة والاحكام .

٧٩ - ديوان ابن منير الطرابلسي ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

٨٠ - ديوان ابن منير الطرابلسي ص ٢١٥ - ٢١٨ مع فوارق كبيرة .

٨١ - في الكامل ج ٩ ص ٣١ ، سبع وأربعين ، وهو الاصح كما هو واضح من السياق .

٨٢ - كانت رئاسة دمشق آنذاك لرجال من آل الصوفي غالبا ما كانوا على غير وئام مع امراء الدولة البورية .

٨٣ - ديوان ابن منير الطرابلسي ص ٢٦٢ - ١٦٣ .

٨٤ - كنا وهو وهم ، فقد ظهر بنو منقذ اولاً في كفر طاب ، وذلك مع بدايات تاريخ الدولة المرداسية ، ثم جاء الاستيلاء على شيزر مع سقوط حكم بني مرداس في حلب ، وسلف لي معالجة هذا كله في الجزء الاول من كتاب المخل من موسوعتنا هذه .

٨٥ - قلعة لآترام في الجبال التي إلى شرقي الموصل . معجم البلدان .

٨٦ - اورد ابن الجوزي اخبار هذه الاحداث في كتابه المنتظم في جوادث سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وقد قمت بتحقيق كتاب المنتظم وهو قد شارف على الانتهاء طباعة .

٨٧ - محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد . معجم البلدان .

٨٨ - اليزك لفظ فارسي معناه الطليعة .

٨٩ - هي بحيرة قطينة العالية .

٩٠ - اضيف ما بين الحاصرتين من الروضتين ومفيد مقارنة هذه المعلومات مع المواد التي ستمر معنا في نص البدر العيني .

٩١ - المشهور أن جيش الطواويس هو الجيش الذي أرسله الحجاج بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث للقتال ضد رقبيل صاحب كابل .

٩٢ - عم قرية بين انطاكية وحلب . معجم البلدان .

٩٣ - في منطقة صافيتا التابعة لمحافظة طرطوس قرية اسمها السويدي ، تبعد عن طرطوس مسافة ٣٢ كم ، فلعلها المقصودة هنا .

٩٤ - ليس لواحد من هؤلاء ترجمة فيما وصلنا من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الذي كنت قد حققته وطبعته في دمشق ١٩٨٨ .

٩٥ - واد بين مكة والطائف . معجم البلدان .

٩٦ - الاضافات من الروضتين .

٩٧ - تطلق العرب على فص الياقوت ، اسم جبل .

٩٨ - ديوان ابن منير ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٩٩ - المنيطرة حصن قرب طرابلس . معجم البلدان .

- ٦٦١٧ -

- ١٠٠ - سورة الاعراف - الآية : ٩٥ .
 ١٠١ - الدرفش : المخز ، والدسترك : منشار صغير .
 ١٠٢ - سورة آل عمران - الآية : ٢٦ .
 ١٠٣ - سورة الرعد - الآية : ٣٩ .
 ١٠٤ - سورة آل عمران - الآية : ٥٤ .
 ١٠٥ - سورة البقرة - الآية : ٢١٦ .
 ١٠٦ - سورة النساء - الآية : ١١٩ .
 ١٠٧ - سورة الانعام - الآية : ٤٤ .
 ١٠٨ - قال هذا الخارجي الذي حاول اغتيال عمرو بن العاص فآخفق .
 ١٠٩ - سورة الاحزاب - الآية : ٢٥ .
 ١١٠ - في احوال بلدة نوى في حوران .
 ١١ - سورة الانفال - الآية : ٤٢ .
 ١١٢ - سورة البقرة - الآية : ٢٤٩ .
 ١١٣ - الجنائيات هنا ماكان يفرض من قبل السلطة من ضرائب وغرامات تأديبية
 ١١٤ - الكتهور : من السحاب قطع كالجبال ، او المتراكم منه ، والال : السراب . القاموس
 ١١٥ - الاضافات من الكامل ح ٩ ص ١٠٩ .
 ١١٦ - الاضافة من الروضتين
 ١١٧ - بائع فقاخ . والفقاخ شراب يتخذ من الشعير .
 ١١٨ - الاضافة بين الحاصرتين من الروضتين .
 ١١٩ - التركش بالفارسية : الجعية .
 ١٢٠ - قال هذا العماد في مطلع كتابه البرق الشافي ، انظر سنا البرق الشامي . ط . القاهرة
 ١٩٧٩ ص ١٦ .
 ١٢١ - سورة الانفال - الآية : ٤٢ .
 ١٢٢ - سورة الاسراء - الآية : ٥٨ .
 ١٢٣ - سورة الاحزاب ، الآية : ٣٨ .
 ١٢٤ - كان والد ابن المقدم هو الذي سلم من قتل سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م سنجار لذور الدين ،
 وذلك خروجا عن امر سيده صاحب الموصل .
 ١٢٥ - البرسام : علة يهذى . فيها . القاموس .
 ١٢٦ - الاضافتان من الكامل ج ٩ ص ١٤٨ .
 ١٢٧ - جاء هذا العنوان بالاصل مشوشا هكذا : « فصل في سبب قضية الذي جرت في ذكر القبض
 على مجاهد بن قايماز وماتبعه من الوهن » ولعل ما اثبتناه هو الصواب .
 ١٢٨ - بيشكاه فارسية معناها : صدر المجلس رئيس . ذو مقام عال .
 ١٢٩ - تل موذن بلد بين رأس عين وسروج . معجم البلدان
 ١٣٠ - الاضافات من الروضتين .
 ١٣١ - بياض بالاصل
 ١٣٢ - باجبارة : قرية على نحو ميل من الموصل الى الشرق منها . معجم البلدان
 ١٣٣ - حاضر صلاح الدين الموصل اكثر من مرة
 ١٣٤ - سورة الصدف - الآية : ٨ .
 ١٣٥ - اضيف ما بين الحاصرتين من « مخرج الكروب لابن واصل الحموي ح ١ - ط . القاهرة
 ١٩٥٧ ص ٢٣ .
 ١٣٦ - زيد ما بين الحاصرتين من الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٢٣٩ .
 ١٣٧ - فراغ بالاصل .

- ٦٦١٨ -

- ١٣٨ - اضيف ما بين الحاصرتين من الكامل ج ٩ ص ٢٤٠
١٣٩ - زيد ما بين الحاصرتين من الكامل ج ٩ ص ٢٤٠
١٤٠ - اضيف ما بين الحاصرتين من الكامل ج ٩ ص ٢٤٨
١٤١ - كان صاحب ماربين انذاك يولق بن ايلغازي بن ارتق . انظر الكامل ج ٩ ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ .
١٤٢ البيكار كلمة فارسية معناها الحرب والمحاربة .
١٤٣ - الاضافة من الكامل ج ٩ ص ٣٠١
١٤٤ - لملها التي بين اسعرت وجزيرة ابن عمر . معجم البلدان .
١٤٥ - استخرج هذا الرقم تقريبا مما تقدم . فقد جاء مكانه بياض بالاصل .
١٤٦ - السكيت : آخر خيول الحلبة . القاموس .
١٤٧ - اضيف ما بين الحاصرتين من الكامل ج ٩ ص ٣٠٤